

# التَّفْرِيْبُ وَالْاِصْطِلَاحُ \*

للدكتور

أَحْمَدُ عَيْدُ السَّتَّارِ الْجَوَارِي

به من مفاهيم وأنكار جديدة ان ملاحة ما يصدر من تلك المفاهيم والسميات يتضمن عملاً ذاتياً متصلًا لا يفتر ولا يتواتي ولا يتوقف بحال من الاحوال . ولذلك تراهم يشكون من تباطؤ الم هيئات والمؤسسات العلمية ولاسيما الجامع اللغوية التي هي المسؤولة أولاً وأخيراً عن اللحاق بركب التقدم العلمي في العالم حتى لا يلقى على اللغة العربية جريمة التخلف والعجز عن استيعاب العلوم والفاظها ومفاهيمها ومصطلحاتها .

وكثيراً ما يشكو هؤلاء من اختلاف الاقطاع، في وضع مصطلحات العلوم او تعريفها على الاصح ، وينادون في لهفة ونفاد صبر بذرم العمل على توحيد المصطلح وتلاقي الجهود المشتقة بين الاقطاع العربي وتجيئها وجهة واحدة حتى لا تتبلل الانكار ويضيع الدارسون في تيه من السبيل المترقبة .

وعلمون ان تفرق السبيل يأتي من تفرق الاجتهاد وتنوع اساليبه والاسس التي عليها يستند . فمن الناس من يجعل المعاجم وما بين دفتيرها من الفاظ جل وكمده وغاية همه ويرى في الخروج عليها عيناً باللغة وانتقاماً على اصولها .

ومنهم من يذهب الى ان الفاظ العلوم الحديثة الجديدة على العربية طارئة عليها نلا يعقل ان ينقب عنها يقابلها في المعاجم . حتى اذا وجد ذلك وجده بعيداً عن اذهان المختصين والدارسين ، بعيداً عن القدرة على

قد يتسائل كثير من الناس ماذا نصنع تجاه هذا السبيل الغزير المتذبذب من مصطلحات العلوم في فروعها المنعددة وميادينها المختلفة ؟ انجذبنا الى قبول الالفاظ كما هي في اللغات الأجنبية اكتفاء بها ودفعاً لمشقة البحث عنها يقابلها في العربية ؟ ام نعود الى المعاجم نستبسط منها الفاظاً قريبة في معانيها من معاني تلك المصطلحات او موصولة الاسباب بتلك المعاني ونسو على سبيل الدلالة المجازية ؟ ام نتحرى الفصاحة والاصالة وتلتمس في تقديم الالفاظ ومجاورها ما يتصل بتلك المعاني ولو باوهى الاسباب .

اسئلة يطرحها كل يوم واتسع الحياة الفكرية التجددية التي يتسارع سيرها حتى لا يكاد التأمل والتفكير يلاحظها او يلحق بها . . . . . و فوق كل ذلك يقون سؤال كبير خطير الدلالة والابهاء .

هذا السؤال هو : كيف يمكن للغربية ان تبرز للحياة الفكرية المعاصرة فتستوعب ما تطلع به من جديد كل يوم ؟ وكيف يمكن العمل على اثراء الفكر العربي بالمفاهيم الجديدة ومدلولاتها و-meanings- ومعانيها بأن يوضع لظل المفاهيم الفاظ عربية يحس معانيها ويدرك مدلولها ، العربي الذي يتحدث العربية سواء كان مختصاً معيناً بالعلم ام كان آخذاً بحظ من التلة العامة ؟ يقول الذين يتبعون ما يكشف عنه العلم وما يطلع

\* عن مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السادس والعشرون 1976 .

معناه في العربية . ماذا يمنع المعاصرين من أن يضيفوه إلى الفاظ الحضارة الحديثة ولو عملا بقول التائل :

« اذا كنت مأكل الطعام مرحب »

ومثل ذلك لفظ (الكبينة) للدلالة على الحجرة الصغيرة التي تقام حاجات معروفة ككبينة الهاتف وكبينة الاستعلامات ونحو ذلك . وأمر هذه اللفظة أهون وأيسر فان مدلولها اللغوي قريب من المدلول الذي تستعمل له في أيامنا هذه ، ومثلها المكينة .

وإذا كانت العربية قد عرفت في مصوري ازدهار الحضارة ما يقال له المولد من الانفاظ فان هذا العصر وما يجدر فيه أولى واجدر بأن يحمل أهل اللغة على توليد الانفاظ مما لا يباحه البناء العربي للانفاظ ، فيكون في ذلك اثراء للغة ومواكبة لما يستحدث من مفاهيم في العلم وفي سائر فروع الحياة والحضارة .

على أن ثمة أمرا آخر يشير إلى مقدار ما تركت العربية من آثار في اللغات التقديمة كالاغريقية واللاتينية . فان كثيرا من الانفاظ والاصطلاحات العلمية قد نقلت عن العربية إلى هاتين اللغتين وصار الذين أخذوها من أهل اللغات الحديثة ينسبونها إلى الاغريقية أو اللاتينية وهم يحملون الأصل الذي اليه تعود .

من هذه الكلمات ما يعرف في علوم الطب والوراثة بـ (Gyamete) وهو عنصر الاخصاب في مادة النسائل . ومن العجيب ان معاجم اللغات الاوربية تنسبه الى الاغريقية . والاعجب ان لفظ (Acme) يستعمل للدلالة على هذا المعنى حتى في اللهجات العامية العرائية . ومن يرجع إلى المعاجم العربية يجد القبيط بهذا المعنى العلمي او قريبا منه . وهو لهذا جدير بأن يأخذ مكانه في مصطلحات العلوم .

ومثله في هذا الباب الفاظ عديدة يمكن ان يلتقي فيها البناء اللغوي في اللغة الاجنبية مع مثيله في العربية . كالنقرة (Nicrosis) والاكمة (Acme) للدلالة على نفس معانيها او قريبة من تلك المعانى . ولا غبار على هذا الاسلوب في التعرير فقد قال اسلامنا قولته المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) .

ان ثمة حقيقة مائلة شاذة لا سبيل الى التفاضي عنها وهي ان اللغة العربية لغة شقيقة كبرى من الوجهة الحضارية والثقافية والفكرية للغات الاسلامية كالفارسية والأوردية والتركية وأمثالها مما تنطق به

النفاذ في صميم الفكر العلمي ، عاجزا عن ان يفرض نفسه على الناس بديلا للمصطلح الاجنبي . وبين هؤلاء وأولئك تضيع على الفكر العربي فرص ثمينة وتزداد مشكلات التعليم بالعربية تعقيدا على تعميد .

لابد اذن من وسيلة او وسائل يحل بها هذا التناقض ويبلغ بها المعنيون بأمر المصطلح العلمي محة واضحة لخلاف على الالتزام بها واللتقاء في رحابها بدءا وابتهاج .

ولابد لهذه المحة الواضحة من معالم شاذة يهدى بها السالكون . ولعل من اهم هذه المعالم ان يكتف الاساتذة المختصون باللغة عن ايثار الحوشى من الانفاظ مما لم يتعذر له في الحياة الفكرية المعاصرة مكان ، وان يعمدوا الى ما يسهل النطق به على الدارسين وما يصل من حياتهم العقلية وحياتهم الحضارية بسبب ، وفي ذلك انتقاد في الجهد وتتأكد للبقاء والامتناع بالفكر .

لان الفكر اذا استوحش لفظا او عباره فإنه لا يليث ان يحاول نفيها والتخلص منها ، فاذا اقحمت عليه مقبلها قبلها كارها لها غير مرحب بها وغير ائيس بصحتها .

واللنظ ائيس سريع الوصول الى الفكر تسهل عليه العشرة وتلذ بها الصحبة ، ولنا في ما اصطلاح عليه الكتاب الحكيم من الفاظ في العبادة كالصلوة والزكاة والبر ، والمصدقة ، وفي التشريع كالعقود والمواثيق ونحوها ، احسن اسوة في تخيير الانفاظ التي يسبغها اللسان وبيانها بها الفكر .

ولقد عاشت تلك الانفاظ وخلدت حتى أصبحت جزءا من حياة الناس سواء في ذلك من اتخذ منها طريقا للحياة لم يكن كذلك .

ومن اهم تلك المعالم ان يعمل واضعو الاصطلاح الى اسلوب في اثراء اللغة واغنائها بابنية جديدة لا ياباها البناء العربي للانفاظ وان لم ترد بمعانيها الجديدة في معاجم اللغة وفي مظانها الأخرى .

ويبيان ذلك ان الفاظا في اللغات الحديثة تشبه في بنائتها وترتيب حروفها ابنية عربية وردت لمعانٍ آخرى بعيدة عن معانيها او قريبة . مثل لفظ (الكاف) الذى لم يعد ممكنا استبعاده من الاستعمال او استبدال لفظ آخر به للدلالة على ما يدل عليه من معنى . مادته اللغوية موجودة ولفظه لا يباحه اللسان العربي ولا تنبو عنه الاذن ولكن مدلوله ومعناه شيء آخر مختلف عن

أسلوب العمل حتى تدرك ما فات وتلحق ان شاء الله  
بما هو آت .

وعليها ان تتجنب ما توعر سبيله على الدارسين  
وما استنقشه الاسنة وعاته الاستعمال من غريب اللفظ  
وحوسيه . وان لا تؤثر ما يؤثره بعض المختصين من  
نقل الانماط الاجنبية كما هي ضنا بالجهد في البحث عن  
الناظ عربية سائفة مقبولة بل صدودا عن مزايا العربية  
وقدراتها في الاشتغال والتصريف وفي اتباع سبيل  
السلف في اخذهم بأساليب مؤقتة كل التوفيق في اكتشاف  
المصطلح كاصفه السوابق والواحق واستعمال  
المصدر الصناعي باضافة ياء النسب متوجعة بهاء التأنيث .  
فقد قالوا اللانهائية والقدرة والجبرية ونحو ذلك كثير .

ان جهودا قيمة في هذا الميدان قام بها ويقوم بها  
المختصون من المجمعين وغيرهم ، لو جمعت لخرج منها  
ثروة نكرية واسعة خدمة ، ولو ان هؤلاء الاناضل  
تلاقوا على اساليب العمل واهدافه وضموا الجهود  
بعضها الى بعض لقدموا الى الفكر العربي خدمة جليلة .

ولو انهم عمقوا الشعور بالحاجة الى المصطلح  
العربي ليكون اداة العمل العلمي العربي المعاصر لبلغوا  
من هذا الامر فوق ما بلغوا حتى الان . واذا صدق العزم  
وضاح السبيل .

شعوب اسلامية يتلى فيها كتاب الله العزيز آناء الليل  
واطراف النهار . وهذه اللغات تتظر وتنتظر ما يفعله  
العرب بالاصطلاحات العلمية حتى تفسح له في لغاتها  
مكانا ومجلا للتداول والاستعمال . وأى تباطؤ او تلاؤ  
او اهمال يصرف هذه اللغات الشقيقة الى اللغات  
الاجنبية . وهي قد تكون اقرب اليها نسبا ولكن العربية  
قد أصبحت جزءا منها فكرا وعقيدة وثقافة وحضارة .

وبعد فان الاصطلاح العلمي ما عاد امره مقصورة  
على المختصين في ميادين العلم والمعرفة ، لغة يرطرون  
بها في معزل عن المجتمع الواسع الذي يعيشون فيه .  
ويمارسون فيه علامات انسانية فكرية وشمولية ، وهو  
يتسم اليوم بالفتح والانطلاق ويبأبى على اهل العلم  
والمعرفة ان يكونوا طبقة متقدمة محدودة الصلة بمسن  
حولها من الناس . وصار لزاما عليهم ان ينهموا بجانب  
من تبعات الثقافة العامة التي ينشوف اليها كل مواطن  
اصاب حظا من التعليم العام يتطلع من خلاله الى  
الاحاطة بما يدور حوله في هذا العالم من تقدم العلم  
والتنمية الحديثة .

واند فان قضية التعریف والاصطلاح وظيفة  
علمية اجتماعية لابد ان تحظى بالعناية الازمة والاهتمام  
الكبير . ويسهل بالجامع اللغوية بل يلزمها ان تتذكرة  
هذا الامر المهم لتقديم اساسا لعمل موحد وترسم